Al-Farouk journal of sciences
Volume (2), Issue (3) (JUNE, 2026)
ISSN: 3135-2359

مجلة الفاروق للعلوم
المجلد (2) ملحق العدد 3 يونيو 2026
ردمد: 3135-2359

البنية المفهومية للخطاب النقدي العربي في ضوء اللسانيات الإدراكية
دراسة تطبيقية في كتاب »دلائل الإعجاز «لعبد القاهر الجرجاني

الخامسة نورالدين العربى احفيظة
قسم اللغة العربية /كلية التربية العجيلات / جامعة الزاوية
a.ehfidha@zu.edu.ly
https://orcid.org/0009-0007-5477-4801

The Conceptual Structure of Arabic Critical Discourse in Light of Cognitive Linguistics: An Applied Study of Abd al-Qahir al-Jurjani's "Dala'il al-I'jaz"

alkhamisah nouruldin alarabi ahfeethah
Department of Arabic Language / Faculty of Education, Ajilat / University of Zawiya

تاريخ الاستلام: 2026/05/24 تاريخ المراجعة 06/16/ 2026 تاريخ القبول:2026/06/28- تاريخ النشر: 07/16/ 2026

مستخلص البحث

يسعى هذا البحث إلى إعادة قراءة التراث النقدي والبلاغي العربي عبر نافذة اللسانيات الإدراكية المعاصرة، متخذًا من كتاب دلائل الإعجاز «لعبد القاهر الجرجاني)ت 471هـ (حقلًا للتطبيق .وتنطلق الدراسة من فرضية أساسية مفادها أن طروحات» الجرجاني—كالتخييل، ونظرية النظم، والتمييز الدقيق بين المعنى ومعنى المعنى، ومراعاة مقتضى الحال—تحمل في عمقها ،المعرفي حدسًا إدراكيًا متقدمًا يقترب جوهريًا من مقولات اللسانيات الإدراكية مثل الاستعارة المفهومية، والفضاءات الذهنية .ونظرية الإطار، والبنية التصورية

وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي لتشريح أبعاد هذه المفاهيم، مع تتبع تجلياتها التطبيقية في نماذج مختارة من الدلائل .وخلص البحث إلى أن العقل النقدي العربي القديم كان واعيًا بالعلاقة الحميمة والعميقة بين حركة الذهن والبناء اللغوي، مما جعله يرفض بقوة تجزئة اللغة أو الفصل التعسفي بين الصورة اللفظية ودلالتها المعنوية، وهو ما يتقاطع مباشرة .مع مبدأ "الالتزام بالتعميم "الذي تدعو إليه اللسانيات الإدراكية اليوم

.الكلمات المفتاحية :اللسانيات الإدراكية، البنية المفهومية، الخطاب النقدي، نظرية النظم، معنى المعنى، عبد القاهر الجرجاني

Abstract

This research seeks to re-read classical Arabic critical and rhetorical heritage through the lens of contemporary cognitive linguistics, taking the book Dala'il al-I'jaz (The Proofs of Inimitability) by Abd al-Qahir al-Jurjani (d. 471 AH) as a practical field of study.

The study is built upon a fundamental hypothesis: that al-Jurjani's core propositions—such as takhyil (poetic imagination), the theory of nazm (construction/system), the subtle distinction between "meaning" and the "meaning of meaning," and the consideration of situational context (muqtada al-hal)—carry within their epistemological depths an advanced cognitive intuition.

This intuition fundamentally converges with key concepts in cognitive linguistics, including conceptual metaphor, mental spaces, frame theory, and conceptual structure.
The study adopts a descriptive-analytical approach to dissect the dimensions of these concepts, tracing their practical applications in selected models from Dala'il. The research concludes that the classical Arabic critical mind was deeply aware of the intimate and profound relationship between cognitive processes and linguistic structure. Consequently, it strongly rejected the fragmentation of language and the arbitrary separation of verbal form from its semantic significance—a stance that directly intersects with the "generalization commitment" advocated by cognitive linguistics today.

- Keywords: Cognitive Linguistics, Conceptual Structure, Critical Discourse, Theory of Nazm, Meaning of Meaning, Abd al-Qahir al-Jurjani.

أسباب اختيار الموضوع

إن التوجه نحو دراسة هذا الموضوع تحديدًا نابع من دوافع علمية وهواجس بحثية، لعل من أبرزها:

- تجاوز النظرة السطحية للتراث البلاغي :الرغبة الحقيقية في إثبات أن البلاغة العربية لم تكن مجرد تصنيفات جافة للمحسنات البديعية والبيانية، بل كانت حقلًا فلسفيًا متكاملًا يدرس عمليات التصور والتخيل والذهن.
- قصور المناهج الوصفية والشكلانية :الحاجة الملحة للاستفادة من المناهج الإدراكية الحديثة التي تدرس اللغة في تلبسها بالإنسان وجسده وتجربته اليومية، بدلًا من المناهج التي تعزل البنية اللغوية عن سياقها المعرفي والذهني.
- أصالة الطرح الجرجاني وفلسفته :القيمة الاستثنائية للأسئلة العميقة التي طرحها عبد القاهر الجرجاني حول النظم والمعنى، والتي ما زالت تمثل أرضية خصبة ومثيرة للمقاربة مع أحدث النظريات اللسانية المعاصرة.

أهمية الدراسة

تتبيّن قيمة هذا البحث وأهميته الأكاديمية من خلال نقاط محددة:

- تجسير الفجوة المنهجية :يسهم هذا البحث في مد جسر معرفي دقيق وموضوعي بين اللسانيات الإدراكية بوصفها أحدث اتجاه لغوي غربي، وبين مدونات التراث النقدي العربي التي لم تُستثمر بعد الاستثمار الأمثل في هذا السياق.
- تفسير الأثر الإدراكي وتوجيه الانتباه :ينقل البحث دفة الاهتمام من مجرد التوصيف البارد للتراكيب البلاغية إلى البحث في تعليل أثرها النفسي والذهني في المتلقي، وكيف يوزع المتكلم الانتباه داخل مسرح الجملة.
- إثراء المنهج البيني :يقدم البحث أنموذجًا عمليًا لكيفية تفاعل الحقول المعرفية المختلفة (نحو، منطق، علم نفس تصوري، فلسفة) لإنتاج وبناء الخطاب البلاغي.

الفجوة البحثية

على الرغم من تراكم الدراسات والمؤلفات التي قاربت كتاب «دلائل الإعجاز» ونظرية النظم، إلا أن المتأمل في هذا النتاج الأكاديمي يلحظ وجود فجوة حقيقية تتمثل في الآتي:

- انصبت جهود أغلب القراءات السابقة إما في اتجاه الشرح البلاغي التقليدي، أو المقاربة البنيوية الشكلية التي حاولت قسرًا إسقاط فكرة "النظام" عند دي سوسير على مفهوم النظم، أو المقاربة التداولية المرتبطة بالمقام فقط.

- هناك غياب تام—في حدود علمنا—لقراءة إدراكية مستقلة وشاملة تستهدف تشريح "البنية المفهومية "المتكاملة لخطاب الجرجاني؛ حيث لم تتعدَّ الإشارات السابقة حدود المقارنات السريعة في النحو المعرفي دون تتبع الأبعاد البلاغية والذهنية الأخرى.
- تأتي هذه الدراسة لترمم هذا النقص وتملأ هذه الفجوة المعرفية من خلال تتبع مستويات ثلاثة في التحليل :مستوى المفهوم النظري، ومستوى الآلية الإجرائية للتراكيب، ومستوى أثر التلقي الإدراكي.

خامساً :الدراسات السابقة:

يبني هذا البحث طروحاته استنادًا إلى أرضية مهدت لها دراسات جادة ورصينة، من أهمها:

- الدراسة الأولى :بحث الأستاذ المساعد الدكتور خالد حوير الشمس الموسوم بـ »اللسانيات الإدراكية :دراسة في المفهوم والتصورات والمعطى البيني«.
  - وجه الاستفادة :يمثل المرجعية الأساسية لضبط البدايات والمراحل التاريخية لظهور اللسانيات الإدراكية وتحديد أبعادها والتعرف على أسسها المعرفية والابستمولوجية.
- الدراسة الثانية :أطروحة الدكتوراه الموسومة بـ »المنجز اللساني العربي في ضوء النظرية اللسانية الغربية :قراءة ابستيمولوجية في النظرية اللسانية الكلية«.
  - وجه الاستفادة :يفيد البحث في استيعاب مساحات التقاطع الابستيمولوجي والمنهجي بين بنية النحو العربي ومقولات النحو المعرفي الغربي.
- الدراسة الثالثة :كتاب الدكتور صلاح فضل »بلاغة الخطاب وعلم النص«.
  - وجه الاستفادة :الاسترشاد برؤيته المنهجية في مقاربة وتوليف الجسور الرابطة بين البلاغة العربية القديمة ومناهج تحليل الخطاب الحديثة.
- الدراسة الرابعة :كتاب »اللسانيات الإدراكية «لـ زينايدا بوبوفا.
  - وجه الاستفادة :الاعتماد عليه لضبط المصطلحات اللسانية والمدارس الإدراكية المتنوعة تجنبًا للوقوع في خلط مفاهيمي أثناء التطبيق.**مقدمة:**

لم تعد اللسانيات الآن معنيّةً بوصف بنية اللغة وصفًا شكليًّا مكتفيًا بذاته، منعزلًا عمّا وراءه من عمليات ذهنية، بل أخذت –منذ ثمانينيات القرن العشرين على وجه التقريب– تنحو نحو مقاربة جديدة تُعنى بالعلاقة العضوية بين اللغة والذهن، هذه المقاربة هي ما اصطُلح على تسميته باللسانيات الإدراكية، أو المعرفية، أو الذهنية، بحسب اختلاف المترجمين واجتهادهم .ولم يكن هذا التحوّل طارئًا ولا مفاجئًا، بقدر ما كان استئنافًا –وإن بأدوات جديدة ومصطلحات مستحدثة– لسؤال قديم طالما شغل العقل النقدي العربي، هو سؤال العلاقة بين اللفظ والمعنى، وبين الصورة الصوتية للكلمة وما تستدعيه من تصوّرات في الذهن.

ولعلّ عبد القاهر الجرجاني)ت 471هـ (هو أبرز من طرح هذا السؤال طرحًا فلسفيًّا عميقًا في كتابه »دلائل الإعجاز«، حين أبى أن يكون إعجاز القرآن الكريم كامنًا في مفردات الألفاظ بذاتها، وذهب إلى أنّ السرّ إنما يكمن فيما سمّاه »النظم«، أي في الكيفية التي تأتلف بها معاني النحو في الذهن قبل أن تتحوّل إلى تراكيب لفظية منطوقة .وهذا التصوّر –كما سنحاول

أن نبيّن في هذا البحث– ليس بعيدًا في جوهره عمّا تذهب إليه اللسانيات الإدراكية المعاصرة من أنّ البنية النحوية ليست شكلًا مستقلًّا عن الدلالة، بل هي في حد ذاتها بنية تصوّرية[1].

من هنا تنبثق إشكالية هذا البحث، والتي يمكن صياغتها في الأسئلة الآتية :هل يمكن قراءة الخطاب النقدي العربي القديم، وتحديدًا كتاب دلائل الإعجاز، قراءةً إدراكيةً معاصرة دون الوقوع في فخّ الإسقاط أو التعسّف على النصّ؟ وما البنية المفهومية التي تحكم مفاهيم النظم، ومعنى المعنى، والتخييل عند الجرجاني؟ وإلى أيّ حدّ تلتقي مقولاته النقدية بمقولات اللسانيات الإدراكية، كالاستعارة المفهومية، والفضاءات الذهنية، ونظرية الإطار؟

وتكمن أهمية هذا البحث في محاولته مدّ جسر منهجي بين اللسانيات الإدراكية بوصفها أحدث اتجاه في الدرس اللساني الغربي، وبين التراث النقدي العربي بوصفه مدوّنة غنيّة لم تُستثمر بعدُ الاستثمار الكافي في ضوء هذا الاتجاه، خلافًا لما جرى مع النحو العربي الذي بدأ يجد من يقاربه إدراكيًّا في العقدين الأخيرين .أمّا منهج البحث فوصفيّ تحليليّ تطبيقيّ، يقوم على عرض المفاهيم الإدراكية الإجرائية أوّلًا، ثمّ توظيفها في قراءة نماذج مختارة من دلائل الإعجاز ثانيًا، مع الحرص على ألّا يتحوّل هذا التوظيف إلى مطابقة قسرية بين حقلين معرفيين متباعدين زمنيًّا ومنهجيًّا.

ولم يكن هذا البحث ليجد أرضيّته المفهومية لولا جملة من الدراسات السابقة التي مهّدت الطريق، أبرزها بحث الأستاذ المساعد الدكتور خالد حوير الشمس الموسوم بـ»اللسانيات الادراكية :دراسة في المفهوم والتصورات والمعطى البيني«، الذي وقف بدقّة عند نشأة اللسانيات الإدراكية ومراحل تطوّرها وأسسها المعرفية، وهو ما أفاد منه هذا البحث كثيرًا .كما أفادت أطروحة الدكتوراه الموسومة بـ»المنجز اللساني العربي في ضوء النظرية اللسانية الغربية :قراءة ابستيمولوجية في النظرية اللسانية الكلية«، في بيان أوجه التلاقي بين مقولات النحو العربي القديم ومقولات النحو المعرفي الغربي[2]. وأفاد أيضًا كتاب »بلاغة الخطاب وعلم النص «في مقاربة العلاقة بين البلاغة العربية القديمة ومناهج تحليل الخطاب الحديثة[3]، فضلًا عمّا أتاحه كتاب »اللسانيات الإدراكية «لزينايدا بوبوفا من عرضٍ منهجي لمدارس هذا الحقل ومصطلحاته.

ويتوزّع هذا البحث على ستة نقاط رئيسة :تُعنى الأوّلى بعرض نشأة اللسانيات الإدراكية ومفهومها، وتخصّص الثانية لتحديد موضع دلائل الإعجاز من مشروع القراءة الإدراكية للتراث النقدي، فيما تختص النقاط الأربعة الأخيرة بالجانب التطبيقي :نظرية النظم، ومعنى المعنى، والاستعارة والتخييل، ومقتضى الحال، وتُختتم الدراسة بأهمّ ما انتهت إليه من نتائج.

أولاً :اللسانيات الإدراكية :النشأة والمفهوم:

تنتمي اللسانيات الإدراكية إلى نظام معرفي أعم يُسمّى بالعلوم الإدراكية، وهي تلك التخصّصات التي تتعلّق بمختلف جوانب النشاط الحسّي والفكري الذي بواسطته يتعرّف الإنسان على العالم من حوله، ويندرج فيها بيولوجيا الأعصاب، وعلم

---

[1] ينظر :خالد حوير الشمس، اللسانيات الادراكية :دراسة في المفهوم والتصورات والمعطى البيني، مجلة العلوم التربوية – والإنسانية، العدد 8، 2021م، ص98.

[2] هاجر ماصري، المنجز اللساني العربي في ضوء النظرية اللسانية الغربية، أطروحة دكتوراه، إشراف صالح حوحو، جامعة – محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2022–2023م.

[3] صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت –.

وقد جاءت هذه العلوم استجابةً لحاجة معرفية بعد مواجهة .[4]النفس، والذكاء الاصطناعي، ونظرية الاتصال، وفلسفة العقل ،مشكلات في تفسير الإدراك البشري، وكانت البداية مع ندوة هيكسون التي عُقدت في معهد كاليفورنيا للتقنية سنة 1948م ثمّ تطوّرت هذه الجهود عبر ندوة نظرية المعلومات بمعهد ماساتشوستس للتقنية سنة 1956م، إلى أن ظهر مصطلح »العلم .[5]الإدراكي «سنة 1973م على يد كريستوفر هيجنز

(cognitive linguistics) أمّا تسمية هذا الاتجاه اللساني بذاته فقد تعدّدت بتعدّد المترجمين، فتُرجم المصطلح الإنجليزي إلى »اللسانيات المعرفية«، و»اللسانيات العرفانية«، و»اللسانيات العرفنية«، و»اللسانيات الإدراكية«، وكان لكلّ ترجمة ،وجاهتها وحجّتها، غير أنّ تسمية »اللسانيات الإدراكية «تظلّ الأقرب إلى شيوع الاستعمال في الدرس العربي المعاصر ولذلك اخترناها عنوانًا لهذا البحث. وتعود جذور اللسانيات الإدراكية إلى الفلسفة الأمريكية، وإن كان الإعلان الرسمي أو الشكلي عن ولادتها لسانًا مستقلًّا يعود إلى ألمانيا، حين تمّ الإعلان في دَيسبورغ سنة 1989م عن مؤتمر علميّ أقامته جمعية اللسانيات الإدراكية، وصار بعده اتجاهًا لسانيًّا منفصلًا .ويمكن تقسيم الإسهام الأمريكي في التأسيس اللساني الإدراكي على مرحلتين :الأولى مع تشارلز فيلمور ومارفن مينسكي وهربرت سيمون سنة 1956م، حين قاموا بتحديد عمل الذهن وعلاقته بالملكات التي يطوّرها، ولا سيّما ملكة اللغة، في مشروع مشترك عُرف بـ»البرنامج الإدراكي .«أمّا المرحلة الثانية فبرزت في بداية السبعينيات على الساحل الغربي للولايات المتحدة، وتمثّلت بانقسام جورج لايكوف، وجون رُوس، وبول بوستال، وجيمس مكاولي عن تشومسكي، واهتمامهم بعلاقة الذهن باللغة، فألّف لايكوف وجونسون كتابهما »الاستعارات ،التي نحيا بها «سنة 1987م، الذي أسّس لنظرية الاستعارة المفهومية، ثمّ أصدر لانغاكر كتابًا موازيًا في السنة نفسها .[6]يؤسّس للنحو العرفاني عن طريق ربط النحو بمقولات الذهن

أ. :مراحل ظهور اللسانيات الإدراكية وأسسها المعرفية

تعود جذور اللسانيات الإدراكية إلى الفلسفة الأمريكية من حيث الفكرة، وإن كان الإعلان الرسمي عنها ألمانيًّا من حيث ،الشكل، وقد قامت هذه النظرية بأصولها المتعدّدة على ثلاثة أسس ابستمولوجية رئيسة :الأساس النفسي، والفلسفة الظاهراتية والحسّ القومي والتفكير الجمعي .فقد ربط الباحثون اللسانيات الإدراكية بمدرسة الجشطلت التي ترى أنّ العقل ينبثق من الخصائص الفيزيقية للدماغ، ويرتبط بالأفكار الناتجة عن الإدراك بصورة عامة، والإدراك البصري بصورة خاصة .كما أرجعها بعضهم إلى صلتها بالفلسفة الظاهراتية التي تعالج سؤال المقصود من معنى الإنسان، وكيف أنّنا قادرون على التفاعل فيما ،بيننا ومع العالم، أو أنّها تنبع من فلسفة ديكارت وكانط، ومعالجة الإدراكيات لفلسفة ديكارت التي أخذت بثنائية العقل والجسد غير أنه "شكليًا يعود ظهور اللسانيات الإدراكية إلى .[7]وكذلك معالجتها لفلسفة كانط التي أخذت بمقولة العقل المتعالي عندنا أعلن في ديسبورغ)ألمانيا (في مؤتمر علمي عن تأسيس جمعية اللسانيات الإدراكية، وبالتالي صارت اللسانيات 1989

4.ينظر :خالد حوير الشمس، اللسانيات الادراكية، ص94 –

5.ينظر :المرجع السابق، الصفحة نفسها –

6.ينظر :خالد حوير الشمس، اللسانيات الادراكية، مرجع سابق، ص95-96 –

7.ينظر :المرجع السابق، ص96- 97 –

الإدراكية اتجاهًا لسانيًا منفصلًا، ويرتبط قيام اللسانيات الإدراكية الحديثة بكتابات المؤلفين الأمريكان جورج لاكوف ورونالد لانغاكير وراي جاكندوف وآخرين"[8].

ويتضح مما سبق أنّ اللسانيات الإدراكية، خلافًا لكثير من المدارس اللسانية التي نشأت حول مقولة إجرائية واحدة، قد تأسّست على تلاقح ثلاثة حقول معرفية كبرى هي علم النفس، والفلسفة، والأنثروبولوجيا الثقافية، وهذا التلاقح هو ما يجعلها في نظري– أقرب المناهج اللسانية المعاصرة إلى روح الدرس البلاغي العربي القديم، الذي لم يكن بدوره منهجًا لسانيًّا– خالصًا، بل كان ملتقى للنحو، والمنطق، وعلم الكلام، وعلم النفس التصوّري الذي عبّر عنه القدماء بـ»التخيّل «و»التصوّر».

ب. :البنية المفهومية

يقع مفهوم »البنية المفهومية« أو النحو المفهومي في صلب الاشتغال الإدراكي للسانيات، ويُقصد به ذلك التنظيم الذهني الذي تتّخذه المفاهيم حين تترابط فيما بينها في شبكة من العلاقات، بحيث لا يُفهم المفهوم الواحد بمعزل عن غيره من المفاهيم المجاورة له في الحقل التصوّري نفسه"[9]. وترتكز هذه البنية، بحسب اللسانيات الإدراكية، على:

التصنيف والمقولة، وذلك لأن "كل كائن حي يُمقول، حتى المتمورة)الأميبة، الحيوان وحيد الخلية (تُموقل الأشياء التي تصادفها وتصنفها إلى غذاء ولا غذاء ...لهذا فالمقولة ناتجة عن الكيفية التي نحن مجسدون بها .نحن نشأنا لنمقول، لو لم نفعل لما استمررنا في الحياة .ليست المقولة في جزء كبير منها، من منتوجات الفكر الواعي .إننا نمقول كما نمقول لأن لنا الأدمغة والأجساد التي لنا، ولأننا نتفاعل في العالم بهذه الطريقة التي نتفاعل بها"[10]. وثانيتها الإطار، حيث "يعتمد علم وثالثتها الفضاء الذهني، ويعني الحيّز. "[11]الدلالة المعرفي مبدأ الوراثة لتنظيم المعلومات اللغوية في بنى إطارية هرمية الذهني أو المجال الذهني للأشياء أو للأفكار، التي تتراوح داخل علاقات واسعة، تتيح شرط نجاح قول ما، وقد وضعها فوكونييه بالأساس لتفسير كيفية بناء المتكلّم والسامع لتمثيلات ذهنية جزئية ومؤقّتة أثناء التواصل .ورابعتها الاستعارة المفهومية والمخطط الصوري، أي تلك الأبنية التصوّرية المستمدّة من التجربة الجسدية اليومية للإنسان، والتي تُسقَط على مجالات مجرّدة لفهمها، وهو ما أطلقت عليه اللسانيات الإدراكية »الجسدنة «لتكون من أهمّ المبادئ في اللسانيات الإدراكية؛ إذ تنظر إلى اللغة متلبّسة بالبشر، وكيانه الجسديّ، أي لا تُفهم المعاني إلّا في ضوء التجربة الجسدية، نحو مقولة الحجم، والوزن، والطول، والخفّة، والثقل، والبعد، والقرب؛ إذ إن "تمثيل المفاهيم أو التصورات محكومين بطبيعة الجسد عند البشر من حيث تكوينه وتمثله وتفاعله مع محيطه الاجتماعي الثقافي والمادي الفيزيائي، وهذا م تقوم عليه نظرية الجسدنة أو نظرية العرفنة المجسدنة في العرفنة عامة وفي اللسانيات العرفنية خاصة، فالذهن المعرفن يعيش في جسد مادي"[12].

وتتشارك هذه الآليات الأربع كلّها في صياغة ما يمكن تسميته الخطاب النقدي حين يتوسّل بلغة تصوّرية لعرض أطروحاته، ذلك أنّ الناقد –أيًّا كان زمنه– لا يكتب بمعزل عن بنية مفهومية تحكم تصوّره لعلاقة اللفظ بالمعنى، وللبلاغة بالإدراك، وللغة بالفكر، وهذه البنية هي ما سنحاول الكشف عنها في خطاب عبد القاهر الجرجاني النقدي.

8.زينايدا بوبوفا ويوسف ستيرنين، اللسانيات الإدراكية، ترجمة: تحسين رزاق عزيز، بيت الحكمة، بغداد، 2012م، ص14 –

9. ينظر: الأزهر الزناد، النصّ والخطاب مباحث لسانية عرفنية، مركز النشر الجامعي، تونس، 2011، ص23 –24 –

10 جورج لايكوف، ومجونسون مارك، الفلسفة في الجسد، الذهن المتجسد وتحديه للفكر الغربي، ترجمة، عبد المجيد – جحفة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2016، ص55.

11 ،عبد الرحمن محمد طعمة، التحليل الدلالي المعرفي في القرآن الكريم، مجلة البحث العلمي في الآداب)اللغات والآداب(– العدد5 المجلد 26، كلية البنات، جامعة عين شمس، القاهرة، 2025، ص113.

12. الأزهر الزناد، النصّ والخطاب مباحث لسانية عرفنية، مرجع سابق، ص23 –

ثانيًا :موضع دلائل الإعجاز من القراءة الإدراكية للتراث النقدي

أ. لماذا دلائل الإعجاز؟

مبدئيًا قد يبدو الجمع بين كتاب أُلّف في القرن الخامس الهجري، وبين نظرية لسانية لم تتبلور إلّا في الربع الأخير من القرن العشرين، ضربًا من الخيال أو التكلّف أو المغامرة المنهجية، غير أنّ ما يبرّر هذا الجمع، من وجهة نظري، أمران :أوّلهما أنّ كتاب دلائل الإعجاز ليس كتابًا بلاغيًّا تقليديًّا، معنيًّا بتصنيف المحسّنات وتعداد أنواع البيان، بقدر ما هو كتاب في نظرية المعنى«، ينطلق من سؤال فلسفي كبير هو :أين يكمن الإعجاز؟ في الألفاظ أم في تأليفها؟ وهذا السؤال بعينه هو» ما يشغل اللسانيات الإدراكية حين تبحث عن مصدر الدلالة :هل هو في الوحدات المعجمية المفردة أم في البنية التصوّرية التي تنتظمها؟

وثانيهما أنّ عبد القاهر لم يكتفِ بوصف الظاهرة البلاغية وصفًا خارجيًّا، بل غاص في تعليل الأثر النفسي الذي تُحدثه التراكيب في نفس المتلقّي، وهذا الاهتمام –بما يقع في النفس– هو صميم الاهتمام الإدراكي الذي تعنى به اللسانيات .الإدراكية المعاصرة، حين تجعل من الإدراك، والتذكّر، والتخيّل، والانتباه، مفاتيح لفهم الظواهر اللغوية

ب. **:نظرية النظم بين القراءة البنيوية والإدراكية**

دُرست نظرية النظم عند الجرجاني في العقود الأخيرة قراءات متعدّدة؛ فقد قُرأت قراءات بلاغية تقليدية تُعنى بحصر أبوابها وتطبيقاتها، وقراءة بنيوية حاولت أن تجد في النظم سبقًا لمقولة النظام عند فرديناند دي سوسير، وقراءة تداولية ربطت النظم بمقتضى الحال وبمقامات الخطاب؛ لكنها في الوقت نفسه لم تحظَ، في حدّ علمنا، بقراءة إدراكية مستقلّة ومكتملة الأركان، وإن كانت بعض الدراسات الحديثة قد أشارت من بعيد إلى قرابة بين تصوّر الجرجاني للنظم وبين رفض النحو الإدراكي لاستقلالية التركيب عن الدلالة، كما أشارت إلى ذلك بعض الأطروحات الجامعية التي تناولت مقارنة النحو العربي :وبحثنا هذا يحاول أن يسدّ هذا الفراغ، انطلاقًا من التمييز بين ثلاثة مستويات من القراءة .[13]بالنحو الغربي المعاصر مستوى المفهوم النظري)النظم بوصفه فكرة(، ومستوى الآلية الإجرائية)كيف يتحقّق النظم في التراكيب(، ومستوى أثر التلقّي .(كيف يدرك السامع النظم فيرتاح إليه أو ينفر منه)

:ثالثًا :البنية المفهومية قراءة إدراكية

:أ .النظم عند الجرجاني

ينطلق عبد القاهر الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز "من فكرة من إنكار أن يكون للفظ المفرد، من حيث هو صوت ،مجرّد، أيّ فضل في حسن الكلام أو قبحه، فليست »الفصاحة «عنده صفة تلحق اللفظ بذاته، وإنما هي صفة تلحق النظم أي الطريقة التي يُوضع بها اللفظ في مكانه من الجملة على وفق ما يقتضيه المعنى النحوي .وقد لخّص عبد القاهر هذه الفكرة في عبارته الشهيرة التي دارت عليها أطروحة الكتاب كلّه، وهي أنّ النظم لا يكون إلا توخّيًا لمعاني النحو فيما بين فليس النظم –بهذا المعنى– ترتيبًا صوتيًّا .[14]الكلم، من تقديم، وتأخير، وتعريف، وتنكير، وذكر، وحذف، وفصل، ووصل .أو موسيقيًّا للألفاظ، بل هو ترتيب ذهني للمعاني، تُصاغ الألفاظ على وفقه فحسب

ولعلّ أخطر ما في هذا التصوّر أنّه يقلب العلاقة المتوقّعة بين اللفظ والمعنى :فبدلًا من أن يكون اللفظ هو الأصل .الذي يُكتسى بالمعنى، يصبح المعنى –أو بالأحرى العلاقات النحوية بين المعاني– هو الأصل الذي يُصاغ عليه اللفظ

---

[13] ينظر :هاجر ماصري، المنجز اللساني العربي في ضوء النظرية اللسانية الغربية، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد – .خيضر، بسكرة، الجزائر، 2023

14،ينظر :عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، بدون تاريخ نشر –

وهذا بعينه ما تذهب إليه اللسانيات الإدراكية حين ترفض أطروحة استقلال التركيب النحوي عن الدلالة، تلك الأطروحة التي قامت عليها اللسانيات التوليدية في أدنى تقدير، والتي انبنت على فكرة أنّ النحو قائمة منظّمة من الأبنية اللغوية التي تواضع عليها متكلّمو اللغة، وتمثّل المعرفة المشتركة لكلّ منهم؛ إذ أنه "لا يتجلى كون النحو ذا معنى إلا باعتماد تصور للمعنى اللغوي المناسب"[15]، بمعنى أنّ الأبنية النحوية الواردة في تلك التراكيب، والمكوّنات الصوتية، والأبنية الصرفية الجارية فيها، إنّما تتحدّد في ضوء المعطى الدلالي الذي يقرّه هذا العلم. فإذا كان النحو الإدراكي يرى أنّ التراكيب النحوية أبنية رمزية، لا هي مستقلّة استقلالًا تامًّا عن الدلالة ولا هي مطابقة لها مطابقة آلية، فإنّ عبد القاهر قد سبق إلى معنى قريب من هذا حين جعل من «معاني النحو» –أي العلاقات الوظيفية بين الفاعل والمفعول والمبتدأ والخبر وما إليها– هي بعينها مادة النظم ومناط الفصاحة.

ب. التقديم والتأخير:

من أفضل ما يقدّمه عبد القاهر الجرجاني في هذا الباب حديثه عن التقديم والتأخير، إذ يرى أنّ تقديم المفعول على الفاعل، أو الخبر على المبتدأ، ليس تصرّفًا شكليًّا بلا غاية، بل هو تعبير عن عناية المتكلّم واهتمامه بالمقدَّم، وحرصه على أن يقع في نفس السامع أوّلًا. وهذا التصوّر يمكن أن يُقرأ في ضوء ما تسمّيه اللسانيات الإدراكية، تبعًا لعلم النفس الجشطلتي، بعلاقة «الشكل والأرضية»، وهي العلاقة التي تفسّر كيف يبرز عنصر معيّن من الحدث المدرَك في بؤرة الانتباه، بينما يتوارى ما عداه في خلفية مساندة له. فحين يقدّم عبد القاهر مثاله عن قول القائل «زيدًا ضربتُ» بدل «ضربتُ زيدًا»، فإنّه في الحقيقة يصف عملية إدراكية دقيقة، هي عملية إبراز عنصر بعينه على حساب غيره في مسرح الجملة، ولا فرق كبيرًا بين هذا وبين ما تصفه اللسانيات الإدراكية بـ«البروز النسبي» في نظرية الإطار، حين يجتمع في الإطار الواحد جميع المعارف والعناصر والمفاهيم التي تستصحبها العبارة، من حيث تقتضيه ركائز بها يكون فهمها أو تصوّر المعنى المدلول بها عليه، "فالمقصود أن العبارة اللغوية يفهم معناها الكلي بنوع من الحوسبة تجتمع به معاني المفردات أو المركبات المكونة لها باعتماد ما يكون بينها من التوليف الداخلي فيها"[16].

ولا يخفى أنّ عبد القاهر لم يستعمل هذا الاصطلاح، ولم يكن بحاجة إليه، لكنّ وصفه الدقيق لأثر التقديم في نفس السامع –من حرص وعناية وتشويق– هو وصف لعملية توزيع الانتباه نفسها التي تصفها اللسانيات الإدراكية اليوم بمصطلحات مختلفة، وهذا ما نعنيه حين نقول إنّ الخطاب النقدي القديم كان يمتلك حدسًا إدراكيًّا دقيقًا سبق الأداة الاصطلاحية التي تصفه.

ج. الحذف:

ومن أعجب ما يقف عنده عبد القاهر في باب النظم مسألة الحذف، إذ يرى أنّ الحذف قد يكون أبلغ من الذكر، وأنّ ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيَد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانًا إذا لم تُبن" على تعبيره الذي اشتهر عنه. وهذا التصوّر يلتقي التقاءً واضحًا مع ما تقوله اللسانيات الإدراكية عن دور الذهن، في «ملء الفراغات» الدلالية اعتمادًا على الإطار المعرفي المشترك بين المتكلّم والسامع، فحين يُحذف عنصر من الجملة[17]،

15 رونالد لانقاكر، مدخل إلى النحو العرفاني، ترجمة الأزهر الزناد، منشورات دار سناترا، معهد تونس للترجمة، ط1 –

16. الأزهر الزناد، النصّ والخطاب مباحث لسانية عرفنية، مرجع سابق، ص39 –

17. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مصدر سابق، ص146 –

،فإنّ المتلقّي لا يقف عاجزًا أمام هذا الفراغ، بل يستدعي من مخزونه المعرفي –أو من إطاره الذهني– ما يسدّ به هذا البياض وتكون لذّة المعنى في هذا الاستدعاء الذاتي أعظم من لذّته لو صُرِّح بالمحذوف .وهذا بالضبط ما تعنيه اللسانيات الإدراكية حين تصف الإطار بأنّه يجمع في العبارة الواحدة جميع المعارف والعناصر التي تستصحبها من حيث تقتضيه ركائز بها يكون فهمها[18].

رابعًا :معنى المعنى بوصفه بنية مفهومية مركبة:

أ. :المعنى الأول والثاني عند الجرجاني

من أدقّ ما ابتكره عبد القاهر في نظريته النقدية تمييزه بين ما سمّاه »المعنى «وما سمّاه »معنى المعنى«، ويقصد بالأوّل الدلالة الوضعية المباشرة للفظ، التي يبلغها السامع بأوّل وهلة من غير حاجة إلى وساطة أو استدلال، أمّا الثاني فهو ما يُدركه العقل عن طريق وساطة المعنى الأوّل، أي حين يدلّ اللفظ على معنى، ثمّ يدلّ ذلك المعنى بدوره –بواسطة القرينة والسياق– على معنى آخر وراءه، كما هو الحال في الاستعارة والكناية والتمثيل .وهذا التمييز يجعل الاستعارة والمجاز في نظر الجرجاني ليسا زخرفًا لفظيًّا يُضاف إلى المعنى الأصلي، بل عملية عقلية مركّبة، ذات طبقتين من الدلالة، أولاهما .مباشرة، وثانيتهما مبنيّة عليها

ولعلّ أشهر مثال يُساق لتوضيح هذا التمييز عند البلاغيين عمومًا هو المثل العربي »كثير الرماد«، الذي يُراد به المديح بالكرم، فالمعنى الأوّل لهذه العبارة هو الإخبار عن كثرة الرماد بالفعل، أمّا معنى المعنى فهو الاستدلال العقلي بكثرة الرماد على كثرة الطبخ، وبكثرة الطبخ على كثرة الأضياف، وبكثرة الأضياف على الكرم، وهو المعنى المقصود أصلًا .فالانتقال من المعنى الأوّل إلى معنى المعنى ليس انتقالًا لغويًّا بحتًا، بل هو سلسلة من الاستدلالات العقلية التي يبنيها الذهن اعتمادًا .على معرفته بالعالم، لا على معرفته بدلالات الألفاظ وحدها

ب. :قراءة الفضاءات الذهنية والمزج المفهومي

إنّ هذا التصوّر لبنية المعنى المزدوجة الطبقات يلتقي التقاءً لافتًا مع ما تقترحه اللسانيات الإدراكية في نظرية الفضاءات الذهنية، التي وضعها فوكونييه لتفسير كيفية بناء المتكلّم والسامع تمثيلات ذهنية جزئية ومؤقّتة أثناء التواصل، بحيث تحيل «العبارة الواحدة إلى مجموعة من الفضاءات الذهنية المرتبطة فيما بينها، لا إلى فضاء واحد مغلق .فحين نقول »كثير الرماد ،فإنّنا في الحقيقة نفتح فضاءً ذهنيًّا أوّل)فضاء الرماد والطبخ(، ثمّ نُسقطه على فضاء ذهني ثانٍ)فضاء الكرم والضيافة(ويتمّ هذا الإسقاط عبر رابط استدلالي يقيمه الذهن بين الفضاءين اعتمادًا على معرفته الموسوعية بعادات الضيافة عند العرب .وهذا يقترب أيضًا مما تسمّيه اللسانيات الإدراكية بالمزج المفهومي؛ حيث يندمج فضاءان مدخلان في فضاء ثالث .ممزوج يحمل خصائص منتقاة من كليهما، لا يحيل إليه صراحة اللفظ، ولكن يستدعيه الذهن استدعاءً سريعًا وغير واعٍ

«وممّا يؤيّد هذه القراءة أنّ عبد القاهر نفسه يصف عملية إدراك معنى المعنى بأنّها تحتاج إلى »واسطة «و»تأمّل و»فكر«، وهذه الألفاظ بعينها هي ما تصف به اللسانيات الإدراكية اليوم عمليات الاستدلال المفهومي التي تتوسّط بين المدخل اللغوي المباشر وبين المعنى المقصود النهائي، بما يؤكّد أنّ الجرجاني لم يكن يصف ظاهرة أسلوبية سطحية، بل .كان يصف بنية معرفية عميقة لعملية الفهم ذاتها

ج .معنى المعنى ونظرية الإطار:

ويمكن أن نضيف إلى هذه القراءة زاوية أخرى، هي زاوية "دلالة الأطر" التي وضعها فيلمور، والتي تقوم على تحديد دلالة المفردة على وفق الأطر العامة التي تتجانس فيها مختلف المناطق المعرفية البشرية، بعد أن تُخصَّص هذه الأطر

18.الأزهر الزناد، النصّ والخطاب مباحث لسانية عرفنية، مرجع سابق، ص205 –

فهمًا موحّدًا لمجال من مجالات التجربة الإنسانية، وقد اخترنا نظرية دلالة الأطر لشارلز فليمور؛ "لأنها تجسد العمل الإجرائي للنظرية العرفانية، فتفسر الأبنية اللغوية من خلال أطرها، فكل بنيات اللغة لها أطر مفهومية معرفية ذهنية تحددها اللغة، واللغة لها إطار يحكمها، فالكلمة لها إطارها والجملة لها إطارها، والخطاب لها إطاره"[19]. فمعنى المعنى عند الجرجاني لا يتحقّق إلّا حين يستدعي السامع إطارًا معرفيًّا كاملًا (إطار الضيافة العربية بكلّ عناصره: النار، والقدر، والأضياف، والكرم)، لا حين يقتصر على المعنى المعجمي المباشر للفظة «الرماد»، وهذا ما يجعل مقولة «معنى المعنى» الجرجانية مقولة إطارية بامتياز، وإن لم تحمل هذا الاسم.

خامسًا: الاستعارة والتخييل من التصوير البلاغي إلى الاستعارة التصويرية:

أ. نظرية الاستعارة المفهومية:

أحدثت نظرية الاستعارة المفهومية التي جاء بها جورج لايكوف ومارك جونسن تحوّلًا جذريًّا في فهم الاستعارة، إذ نقلها من كونها ظاهرة لغوية جمالية محضة إلى كونها آلية تفكير أساسية يمارسها الإنسان في حياته اليومية دون وعي منه غالبًا، فالاستعارة عند لايكوف وجونسن حاضرة في كلّ مجالات حياتنا اليومية، ولا تقتصر على اللغة، بل توجد في تفكيرنا وفي الأعمال التي نقوم بها أيضًا، والنسق التصوّري العادي الذي يسيّر تفكيرنا وسلوكنا له طبيعة استعارية بالأساس، وذلك لأن "التصورات التي تتحكم في تفكيرنا ليست ذات طبيعة ثقافية صرفة، فهي تتحكم أيضا في سلوكياتنا اليومية البسيطة بكل تفاصيلها. فتصوراتنا تبين ما ندركه وتبين الطريقة التي نتعامل بواسطتها مع العالم، كما تبين كيفية ارتباطنا بالناس. وبهذا يلعب نسقنا التصويري دورًا مركزيًا في تحديد حقائقنا اليومية. وإذا كان صحيحًا أن نسقنا التصويري، في جزء كبير منه ذو طبيعة استعارية فإن كيفية تفكيرنا وتعاملنا وسلوكاتنا في كل يوم ترتبط بشكل وثيق بالاستعارة"[20]. وتقوم هذه النظرية على أساس أنّ الاستعارة نقل لخصائص «المجال المصدر» –وهو غالبًا مجال حسّي ملموس، مستمدّ من التجربة الجسدية المباشرة– إلى «المجال الهدف» وهو مجال مجرّد يصعب إدراكه مباشرة، وقُسّمت الاستعارات عند لايكوف وجونسن على ثلاثة أقسام: الاستعارة البنيوية، والاستعارة الاتجاهية، والاستعارة الأنطولوجية[21].

ب. الاستعارة بوصفها أداة معرفية:

من الممكن ملاحظة أنّ عبد القاهر الجرجاني، حين تحدّث عن الاستعارة والتخييل، لم يكن بدوره ينظر إليهما بوصفهما زخرفًا لفظيًّا يُحسّن الكلام، بل بوصفهما وسيلة لإحضار المعنى في صورة محسوسة تقرّبه إلى الذهن، وتجعل المتلقّي كأنّه يشاهد المعنى المجرّد رأي العين. فالاستعارة عند عبد القاهر إجراء عقلي يقوم على ادّعاء دخول الشيء في جنس شيء آخر، مبالغةً في إثبات المعنى له، وهذا الادّعاء بعينه هو ما تصفه اللسانيات الإدراكية بـ«الإسقاط» من مجال إلى مجال، إذ لا فرق جوهريًّا بين أن نقول إنّ المتكلّم «يدّعي» أنّ الممدوح أسدٌ، وبين أن نقول إنّه «يُسقط» خصائص المجال المصدر (الأسد: القوّة، والشجاعة، والهيبة) على المجال الهدف (الممدوح)، غير أنّ الاصطلاح الإدراكي يمنحنا وصفًا أكثر تفصيلًا لآلية هذا الإسقاط ولانتقائيته، إذ إنّ الإسقاط لا ينقل كلّ خصائص المجال المصدر، بل ينتقي منها ما يلائم غرض المتكلّم،

[19] لامية قداش، وصلاح الدين يحي، اللسانيات العرفانية والمحتوى الإجرائي لنظرية دلالة الأطر في المداخل المعجمية – مجلة دراسات معاصرة، المجلد 5، العدد 2، جامعة تيسمسيلت، الجزائر، 2021، ص261.

20 جورج لايكوف ومارك جونسن، الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة: عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء – ط2، 2009، ص21.

21. ينظر: المرجع السابق، ص33–45 –

وهو ما كان عبد القاهر نفسه واعيًا به حين ميّز بين أوجه الشبه القريبة والبعيدة، وفاضل بين التشبيهات بحسب دقّة وجه الشبه ولطفه.

ويذهب عبد القاهر أبعد من هذا حين يربط قيمة الاستعارة والتشبيه بمقدار ما فيهما من »عمل الذهن «وسعي العقل إلى تركيب المعنى تركيبًا لا يُدرَك بأوّل وهلة، فكلّما كان الوصول إلى وجه الشبه أشقّ على الذهن وأدعى إلى إعماله، كانت الصورة أبلغ وأعلى طبقة .وهذا يذكّرنا بما تقوله اللسانيات الإدراكية عن كون الاستعارات ذات الأصالة الإبداعية تتطلّب جهدًا تصوّريًّا أكبر من الاستعارات الميتة أو المتداولة التي تحوّلت إلى تعبيرات جاهزة لا تستدعي إسقاطًا واعيًا من المتلقّي.

ج .التمثيل:

أي ما اجتمعت فيه صورة ،[22]ويفرد عبد القاهر للتمثيل عناية خاصة، فيرى أنّ أرفع ضروب الاستعارة ما كان تمثيلًا مركّبة من عدّة أمور لتمثيل صورة أخرى مركّبة كذلك، لا استعارة مفردة في لفظة واحدة .وهذا الوصف يقابل تمامًا ما تسمّيه اللسانيات الإدراكية بـ»الاستعارة البنيوية«، التي لا يُسقط فيها عنصر واحد على عنصر واحد، بل تُسقط بنية علائقية كاملة من المجال المصدر على بنية علائقية موازية لها في المجال الهدف، كما في الاستعارة المشهورة »الجدال حرب«، التي لا تكتفي بأنّ المجادل »يهاجم «أو »يدافع«، بل تسقط بنية الحرب كلّها –بأطرافها وأدواتها ونتائجها– على بنية الجدال .وحين يمثّل عبد القاهر بمثال الشاعر الذي يصف امرأة تشير بأصابعها في الحديث فتُشبَّه أصابعها بالعُنّاب والعنم، فإنّه لا يصف تشبيهًا مفردًا بين إصبع وثمرة، بل يصف صورة مركّبة كاملة، هي صورة الحركة واللون والرقّة مجتمعة، يُسقطها الذهن دفعة واحدة على المشهد الموصوف.

سادسًا :مقتضى الحال:

أ. :مقتضى الحال عند البلاغيين

لم يكن عبد القاهر أوّل من أشار إلى ضرورة مراعاة أحوال المخاطَبين في صياغة الكلام، لكنّه أرسى الأساس النظري الذي بُنيت عليه فيما بعد مقولة »مطابقة الكلام لمقتضى الحال«، التي غدت جوهر علم المعاني عند البلاغيين المتأخّرين. فالكلام الفصيح البليغ، عند عبد القاهر، ليس ما يصحّ في ذاته بمعزل عن قائله وسامعه ومقام قوله، بل ما يلائم مقتضى الحال الذي قيل فيه، من علم المخاطَب أو جهله، ومن حاجته إلى التوكيد أو استغنائه عنه، ومن جريان الكلام مجرى الإنكار أو مجرى الإخبار المجرّد.

ب .مقتضى الحال بوصفه استدعاءً لفضاء ذهني مشترك:

ويمكن أن نقرأ هذه المقولة قراءة إدراكية بوصفها استدعاءً لفضاء ذهني مشترك بين المتكلّم والمخاطَب، فحين يقدّر المتكلّم أنّ مخاطَبه منكِر لمضمون الخبر فيؤكّده، فإنّه في الحقيقة يفتح فضاءً ذهنيًّا خاصًّا بحال المخاطَب)فضاء الإنكار(ويصوغ كلامه بما يلائم هذا الفضاء تحديدًا، لا بمعزل عنه .وهذا قريب جدًّا مما تصفه اللسانيات الإدراكية من أنّ الفضاء الذهني يُقدَّم بمعونة الحيّز، أو المجال الذهني، أو المنوال الذي ينبثق تصوّريًّا من الخطاب، وتترابط تلك الأبنية الذهنية فمقتضى الحال، بهذا .[23]نحويًّا ولغويًّا، وتأخذ بالانتشار والتكاثر، فيتمّ تبادل التصوّر بين المتكلّمين، ثمّ يبدأ توالد الأفكار

22.ينظر :عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق :محمود شاكر، مصدر سابق، ص439 – 441 –

[23].ينظر :الأزهر الزناد، النصّ والخطاب مباحث لسانية عرفنية، مرجع سابق، ص39 –

المعنى، ليس معطى خارجيًّا صرفًا يُضاف إلى الكلام من خارجه، بل هو جزء من البنية المفهومية التي يتشكّل الكلام على أساسها من لحظة توليده الذهني الأولى.

ج. نظرية الإطار وتفسير التقدير الجرجاني:

وتقدّم نظرية الإطار سندًا إضافيًّا لهذه القراءة، فحين يتحدّث الجرجاني عن العناصر التي يقتضيها «المقام»، فإنّه يصف عمليًّا ما تسمّيه اللسانيات الإدراكية «البروز النسبي» (البروز النسبي) أو ما يُترجم بـ«البروز النسبي»، أي أنّ الإطار يجمع في العبارة الواحدة جميع المعارف والعناصر والمفاهيم التي تستصحبها العبارة من حيث تقتضيه ركائز بها يكون والمقصود أنّ كلّ ما يُذكر في الجملة أو يُحذف منها إنّما يُقاس بمقدار حضوره أو غيابه في الإطار الذي فهمها[24]، يستحضره المتكلّم عن حال مخاطَبه، وهذا هو بعينه جوهر ما يعنيه علم المعاني عند الجرجاني بمراعاة «حال المخاطب».

ويتّضح ممّا سبق أنّ اللسانيات الإدراكية تركّز على الفضاء الخارجي للغة أكثر من الفضاء الذهني الداخلي المحض، وبناء على هذا التصوّر تتمايز رؤية اللسانيات الخارجية عن اللسانيات الداخلية، لأنّها ترتبط بالقدرات الإدراكية العامة وبمعرفة العالم، وهذه السمة بعينها هي ما يجعل هذا الاتجاه أقدر على استيعاب مقولة «مقتضى الحال» الجرجانية من المناهج الشكلية المحضة التي تكتفي بوصف بنية الجملة معزولة عن مقامها.

الخاتمة وأهم النتائج:

يتضح أن إعادة قراءة التراث البلاغي والنقدي العربي في ضوء اللسانيات الإدراكية المعاصرة ليست مجرد محاولة للمقارنة الشكلية، بل هي كشف عن آليات ذهنية عميقة تشترك فيها التجربة الإنسانية عبر العصور. لقد أثبت كتاب «دلائل الإعجاز» لعبد القاهر الجرجاني أنه يمثل حجر زاوية في فلسفة اللغة والذهن، متجاوزًا الحدود التقليدية للبلاغة التوصيفية الباردة ليلج إلى تعليل الأثر النفسي والإدراكي للتراكيب اللغوية في نفس المتلقي.

إن العقل النقدي العربي القديم، المتمثل في عبقرية الجرجاني، استطاع بحدسه المعرفي المتقدم أن يرسي أسسًا متينة لفهم العلاقة بين اللفظ والمعنى، كبنية تصورية متكاملة لا تقبل التجزئة. وبذلك، فإن مد الجسور بين هذا التراث وطروحات اللسانيات الإدراكية المعاصرة يفتح أمامنا أفقًا جديدًا لإعادة قراءة المدونات العربية القديمة؛ أفقًا يخرجها من سياق التصنيف التاريخي الجاف إلى سياق التفاعل الحي مع أحدث ما وصلت إليه العلوم الإنسانية والمعرفية اليوم.

وقد تكلل هذا البحث بالوصول إلى جملة من النتائج المهمة، نلخصها في النقاط الآتية:

- أكدت الدراسة أن طروحات الجرجاني تحمل عمقًا معرفيًا استثنائيًا يرفض الفصل التعسفي بين اللفظ والمعنى. هذا الرفض يتقاطع مباشرة مع مبدأ "الالتزام بالتعميم" الذي تتبناه اللسانيات الإدراكية المعاصرة، حيث يُنظر إلى النحو كبنية تصورية مرتبطة بالذهن وبحركة الفكر.
- تبين أن تفسير الجرجاني للتقديم والتأخير يمثل معادلًا دقيقًا لآلية "الشكل والأرضية" في علم النفس الجشطلتي واللسانيات الإدراكية. فالتقديم عنده ليس ترفًا أسلوبيًا، بل هو آلية إدراكية يوجه من خلالها المتكلم بؤرة انتباه السامع لعنصر محدد في مسرح الجملة.
- أظهر البحث أن ظاهرة الحذف عند الجرجاني تمثل عملية إدراكية نشطة تتطلب من المتلقي ملء الفراغات الدلالية استنادًا إلى الإطار المعرفي والموسوعي المشترك. هذا الاستدعاء الذاتي يمنح عملية التلقي لذة كشف ذهني لا يحققها اللفظ المصرح به.

[24] ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مصدر سابق، المقدمة –.

- خلصت الدراسة إلى أن التمييز الجرجاني الدقيق بين المعنى ومعنى المعنى يمثل بنية مفهومية مركبة ومزدوجة الطبقات، تتناغم بصورة وثيقة مع "نظرية الفضاءات الذهنية" و"المزج المفهومي" لـ (فوكونييه). فالانتقال من الدلالة المباشرة إلى الدلالة التنازلية يتم عبر روابط استدلالية وتأمل عقلي يستدعي إطارًا ثقافيًا وحياتيًا متكاملًا.
- أثبت البحث أن الاستعارة والتمثيل في "دلائل الإعجاز" لا ينحصران في كونهما تزيينًا لفظيًا، بل هما آليتان تفكيريتان تقومان على نقل الخصائص من مجال حسي ملموس (المجال المصدر) إلى مجال مجرد (المجال الهدف)، وهو ما يطابق ركائز "نظرية الاستعارة المفهومية" لـ (لايكوف وجونسن).
- كشفت مقاربة "مقتضى الحال" عن وعي إدراكي عميق بأهمية الفضاء الخارجي للغة ومعرفة العالم في توجيه الخطاب وتشكيله. ويتداخل هذا المفهوم مباشرة مع "نظرية الإطار" لـ (فيلمور)، حيث تتحدد دلالة التراكيب وحجم الطاقة التعبيرية الممنوحة لها وفقًا لمدى حضور العناصر في ذهن المخاطَب وأحواله النفسية والإدراكية.

المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

- عبد القاهر الجرجاني:
  - أسرار البلاغة، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار ومكتبة الخانجي، القاهرة.
  - دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة (بدون تاريخ نشر).

ثانياً: المراجع:

- الأزهر الزناد: النصّ والخطاب مباحث لسانية عرفنية، مركز النشر الجامعي، تونس، 2011م.
- جورج لايكوف ومارك جونسن:
  - الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة: عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط2، 2009م.
  - الفلسفة في الجسد، الذهن المتجسد وتحديه للفكر الغربي، ترجمة: عبد المجيد جحفة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2016م.
- خالد حوير الشمس: اللسانيات الإدراكية: دراسة في المفهوم والتصورات والمعطى البيني، مجلة العلوم التربوية والإنسانية، العدد 8، 2021م.
- رونالد لانقاكر: مدخل إلى النحو العرفاني، ترجمة: الأزهر الزناد، منشورات دار سناترا، معهد تونس للترجمة، ط1، 2018م.
- زينايدا بوبوفا ويوسف ستيرنين: اللسانيات الإدراكية، ترجمة: تحسين رزاق عزيز، بيت الحكمة، بغداد، 2012م.
- صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
- عبد الرحمن محمد طعمة: التحليل الدلالي المعرفي في القرآن الكريم، مجلة البحث العلمي في الآداب (اللغات والآداب)، كلية البنات، جامعة عين شمس، القاهرة، المجلد 26، العدد 5، 2025م.
- لامية قداش وصلاح الدين يحي: اللسانيات العرفانية والمحتوى الإجرائي لنظرية دلالة الأطر في المداخل المعجمية، مجلة دراسات معاصرة، جامعة تيسمسيلت، الجزائر، المجلد 5، العدد 2، 2021م.
- هاجر ماصري: المنجز اللساني العربي في ضوء النظرية اللسانية الغربية، أطروحة دكتوراه، إشراف: صالح حوحو، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2022–2023م.